تاريخنا

بين إشكالات التدوين القديم وإشكالات القراءة المعاصرة

تأليف: عمر خليفة راشد
www.omarblog.com

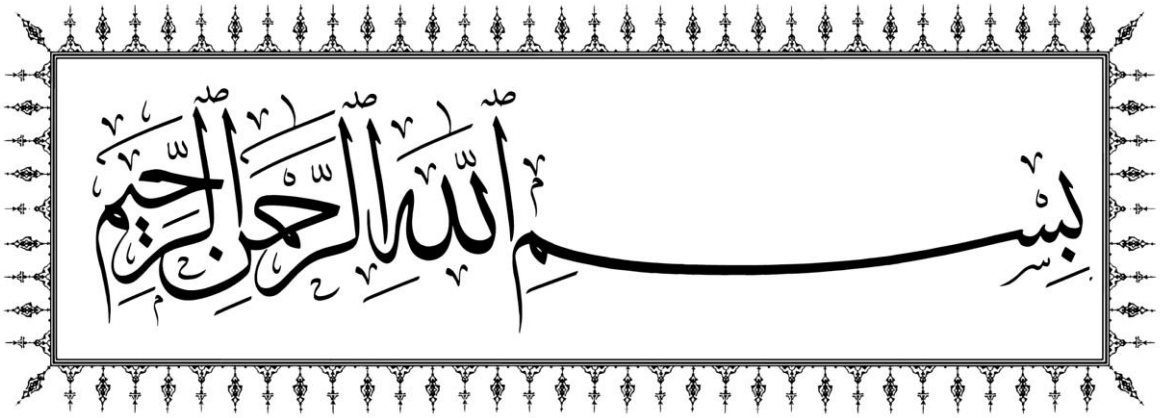
بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ كالمحيط، له سواحل وله أعماق.
ومن أراد الحقائق فعليه بالأعماق، ومن
اكتفى بالسواحل اكتنفته الخرافات والأكاذيب

الفهرس

المقدمة	ص٤
تمهيد: أقوال مهمة في علم التاريخ	ص٦
الفصل الأول: إشكالات التدوين القديم	ص٨
التجميع سيد الموقف: الطبري نموذجا	ص٩
شيء من النقد: ابن كثير نموذجا	ص١٢
التساهل في الاتهام: الذهبي نموذجا	ص١٦
مؤرخون من غير الثقاة	ص١٩
الفصل الثاني	ص٢٠
القواعد التي تتبع في قبول أو رد الروايات التاريخية	ص٢١
الفصل الثالث: إشكالات القراءة المعاصرة	ص٢٦
قراءة التاريخ بعيون المستشرقين	ص٢٧
قراءة التاريخ بعيون ثورية	ص٣١
التمادي في تجاهل تحقيق الروايات	ص٣٦
وللتشيع السياسي دور في القراءة الخاطئة للأحداث	ص٣٨
الفصل الرابع: هكذا نقرأ التاريخ	ص٣٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد خاتم المرسلين، وبعد..

فعلم التاريخ بحر زاخر، ومحيط لا تنضب ثرواته، ولا تنقضي عجائبه. لذلك، اهتم المسلمون منذ بدايات الدعوة الإسلامية بهذا العلم الشريف، فظهرت المصنفات الكثيرة التي غطت تاريخ القرون الأولى، ابتداء من السيرة النبوية المطهرة، ثم تاريخ دول الإسلام المتتابعة، وذلك على يد عدد كبير من المؤرخين والأخباريين، والذين عدت مصنفاتهم مصادر للتاريخ الإسلامي القديم. ثم استمر المسلمون المعاصرون في اهتمامهم بعلم التاريخ، فظهرت أجيال من المؤرخين المعاصرين، الذين شغلت مؤلفاتهم حيزا كبيرا من المكتبة التاريخية الإسلامية.

ولكن كل جهد بشري قابل للخطأ والتقصير، ولا عصمة إلا لأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام. وما التاريخ إلا رجال وأحداث.. أناس يُحدثون الحدث، وبمرور الزمن يصبح هذا الحدث تاريخا.. وبما أن الناس معادن، فكذلك الأحداث الناتجة عن أعمالهم: منها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي. وهذا ينطبق أيضا على من يُسمى بالمؤرخ، إذ أن تاريخنا قد كُتب على أيدى أناس يتفاوتون في العلم والفهم، كما يتفاوتون في الورع والتقوى، وشتان بين من رزقه الله الإخلاص، فأرخ وخطّ بنانه طلبا لرضا الرب سبحانه، وبين من اتبع هواه فخطّ بنانه بما يتناسب مع عقائده المنحرفة وأفكاره الضالة.

ولكن المشكلة في تدوين التاريخ أكثر تعقيدا من ذلك، إذ أن المنهج الذي اتّبع من قبل المؤرخين الأفاضل قديما منهج يحتوي على ثغرات خطيرة. فبعض المؤرخين تساهلوا في الإسناد فلم يشترطوا الصحة، فملئوا كتبهم بالصحيح والضعيف والمكذوب من الروايات! ومنهم من لم يسند رواياته أصلا. وقد عمت ظاهرة الوله والولع بالتدوين، مجرد التدوين، بلا التفات إلى صحة الخبر سندا ومتنا.

روى الخطيب البغدادي في (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع جـ٢ ص١٦٢)، قال: أخبرنا أبو سعد الماليني، قال: أخبرنا عبد الله بن عدي الحافظ، قال: سمعت محمد بن سعيد الحرّاني، يقول: سمعت عبد الملك الميموني، يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول:

"ثلاثة كُتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير". وهذا إسنادٌ صحيحٌ رواته أئمة ثقات.

ومقصود الإمام أحمد رحمه الله: كثرة ما دخل من روايات باطلة في هذه المجالات المهمة من ثقافتنا الإسلامية.

هذا بالنسبة للإشكالات التي صاحبت التدوين القديم للتاريخ الإسلامي، أما إشكالات القراءة المعاصرة فتتعلق بالدرجة الأولى باللجوء إلى المصادر التاريخية القديمة، ونقل الروايات منها بدون تمحيص ولا تدقيق، إلا من رحم الله من المؤرخين والكتّاب المعاصرين. وقد لعبت الأهواء والميول الفكرية دورا كبيرا في "اختيار" روايات معينة تخدم أهواء وميول معينة، والإعراض عن روايات أخرى، دون النظر في صحة هذه الروايات من عدمها، سندا ومتنا.

لقد تعرضت شخصيات إسلامية مهمة للتشويه، وتعرضت أحداث مهمة للتأويل الفاسد نتيجة لعدم التحقيق قديما وحديثا، فكان ذلك "صيدا ثمينا" لمن يروم تشويه تاريخنا الإسلامي المجيد، من المستشرقين وعبيدهم، ومن أتباع الفرق الضالة المضلة، الحاقدة على الإسلام.

التاريخ أمانة، والمؤرخ مؤتمن.. يقول الشاعر:

وَما مِن كاتِبٍ إلا سَيفنى ... وَيُبقي الدَهر ما كَتَبتَ يَداه

فَلا تَكتُب بِكفك غَير شَيءٍ ... يَسرك في القِيامة إن تَراه

عمر خليفة راشد

Omarblog.com

محرم ١٤٤٥هـ

تمهيد: أقوال مهمة في علم التاريخ

- "اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذاهب جم الفوائد شريف الغاية.. إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا.. وهو في ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأُول، تنمو فيه الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال. وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق. لذلك فهو أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق"(١).

- "مدرسة المدينة كانت ملتزمة بالسند التزاما دقيقا، مما ضيق دخول القصص الخرافية والإسرائيلية إلى مجال التاريخ، أما مدارس العراق، فقد تساهلت في السند إلى حد ما، وخاصة في القرنين الأول والثاني للهجرة، مما فسح المجال للقصص الإسرائيلية والخرافية والاستطراد والسرد غير المعمق في الدخول إلى التاريخ"(٢).

- "المؤرخ ليس آلة تسجيل بل هو أساسا راوية يقرأ زمانه من فعل تجربته الخاصة وثقافته الذاتية التي قد تختلف في نسبتها بين مؤرخ وآخر. والمؤرخ أيضا ليس بالضرورة مفكرا، فالتفكير بالشيء يختلف عن تأريخ الشيء"(٣).

- "أسباب الوضع التي تتعلق بمنهجية التدوين التاريخي: يمكن إجمالها في الشغف بالرواية التاريخية والإكثار منها مع قصور في نقد تلك الروايات.. استسلم بعض المؤرخين لإغراء الإكثار من الروايات بغض النظر عن صحتها.. فمهمة المؤرخ كما فُهمت آنذاك تتجه إلى النقل لا النقد"(٤).

- "التاريخ هو وعاء الفعل الحضاري، وميدان تنزيل القيم على الواقع، وذاكرة الأمة ومحل تجربتها وعبرتها، فهو نهر متدفق يتجه من الماضي ويمر بالحاضر، ليصل إلى المستقبل، لا غنى عنه لكل رواد الإصلاح لعالم الغد"(٥).

---

(١) ابن خلدون: المقدمة.
(٢) د. رشيد لطيف الحشماوي: التدوين التاريخي من سنة ١هـ إلى سنة ٤٠٠هـ، ص٦٣
(٣) وليد نويهض: المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ، ص١١
(٤) د. حمدي شاهين: ظاهرة الوضع في مصادرنا التاريخية الباكرة وأبرز أسبابها، ص٩
(٥) د. حسن خضيري أحمد: علم التاريخ عند المسلمين قضايا ومراجعات، ص٧

- **"هناك ضرورة لقراءة الروايات التاريخية بعين محايدة، وذلك للوصول إلى ما هو أقرب إلى الحقيقة، وليست القراءة الانتقائية للحصول على أدلة تسند المواقف المسبقة من الشخصية التاريخية المحددة في الحادثة، وينبغي على الباحث أن ينتبه أيضا إلى أساليب المبالغة والتعميمات التي يرددها كثير من مؤلفي كتب التاريخ"[٦].**

- **"شارك في تدوين أخبار التاريخ الإسلامي وروايتها مجموعة من الإخباريين والرواة الضعفاء المتهمين في عدالتهم من أتباع الفرق الضالة"[٧].**

- **"التاريخ معرفة نقلية تعتمد على الأخذ من المصادر، لأن التاريخ خبر عن حدث وقع وانتهى، فلا يغني فيه الخيال والرجم بالغيب ولا التجارب المعملية، كما يفعل الأديب والقصصي والشاعر والعالم الفيزيائي، وما دامت المصادر بهذه الأهمية للمؤرخ فلا بد أن يعتني بها غاية الاعتناء وأن يرتبها الترتيب الصحيح وفق معايير نقدية محددة، كدرجة الثبوت والثقة في المصدر وكالقرب من الواقعة التاريخية، سواء قرب المصاحبة والمعايشة أو القرب الزمني"[٨].**

(٦) د. سعيد إسماعيل صيني: منهج الأبحاث التاريخية في خطوات تطبيقية، ص٦٨
(٧) د. محمد أمحزون: منهج دراسة التاريخ الإسلامي، ص١٢
(٨) د. محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص٢٣٦

الفصل الأول

إشكالات التدوين القديم

التجميع سيد الموقف: الطبري نموذجا

الإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر رحمه الله، شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين ومقدم الفقهاء المحدثين[٩]، المتوفى عام ٣١٠هـ.

وهو صاحب كتاب (تاريخ الرسل والملوك)[١٠]، الذي هو الكتاب الأشهر من بين مصادر التاريخ الإسلامي. وقد نقل عنه الكثير من المؤرخين الذين جاؤوا بعده، ولا غنى عنه لأي مؤرخ معاصر يريد أن يكتب عن تاريخ القرون الثلاثة الأولى من عمر الإسلام.

ولكن المشكلة الكبرى تكمن في المنهج الذي خطه الطبري لنفسه في هذا الكتاب، هو وسائر المؤرخين القدامى، ألا وهو عدم اشتراط صحة السند، وعدم الالتفات إلى الإشكالات المتعلقة بمتن الخبر، فكأن الهدف هو (تجميع) أكبر قدر من الروايات، وإن تناقضت متونها وضعفت أسانيدها. فاختلط الحابل بالنابل، وتسربت إلى الثقافة الإسلامية الكثير من الروايات الضعيفة والباطلة، إلى جانب الروايات الصحيحة بطبيعة الحال.

يقول الطبري رحمه الله موضحا منهجه ومحذرا القارئ:

"وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا"[١١].

(٩) كما ذكر ذلك الدكتور محمد الزحيلي رحمه الله في عنوان كتابه عن الإمام الطبري.
(١٠) ويعرف الكتاب أيضا باسم (تاريخ الأمم والملوك).
(١١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، المقدمة.

إذن، ينبهنا الطبري إلى أمور "منكرة وشنيعة" في كتابه، وهو إنما يكتب ما قيل له! فلا تحقيق ولا تدقيق، إلا فيما ندر. ويحمّلنا الطبري –نحن قراء تاريخه- مسئولية التثبت! ولكن: "كتاب (تاريخ الأمم والملوك) للطبري أقدم مصدر من مصادر التاريخ أخرج الروايات معنعنة، وكل من جاء بعده نقل عنه، أو اعتمد عليه، وقد أسند الطبري الروايات، ومن أورد السند فقد أحالك وحمّلك مسئولية التثبت من تلك الروايات، فبرئت ذمته، وألقى بالعهدة على الرواة والقراء. فقد أشار رحمه الله في مقدمة كتابه أنه لم يلتزم بإيراد الصحيح لعلل دعت إلى ذلك، فهو لم يلتزم النقل عمن آمن واهتدى وصدّق بالحسنى فحسب، وإنما نقل عن هؤلاء، وعن كل من هب ودب وعوى وغوى، وحمّل رواته التبعة، وحمّل بذلك الدارسين لكتابه البحث عن حال هؤلاء الرجال في كتب الرجال والجرح والتعديل"[١٢].

وأنّى للدارسين لكتابه البحث عن حال الرواة الذين روى عنهم الطبري، فلا يفعل ذلك إلا الباحث الجاد والمخلص، الذي يريد إحقاق الحق وإبطال الباطل. أما الكسالى من الباحثين فلا. وأما أصحاب الأهواء والملل والنحل فقد وقفوا عند الروايات الضعيفة والمكذوبة وطاروا بها في الآفاق، انتصارا لزيغهم وانحرافاتهم.

يقول الأستاذ محب الدين الخطيب[١٣] رحمه الله: "وقد اخترت اليوم من هذه المراجع كتاب (تاريخ الأمم والملوك) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ) لأتحدث عنه إلى إخواني المشتغلين بالتاريخ، ممن يحاولون الانتفاع به في الاستدلال والنقل، لأني رأيت منهم من يظن أن إيراد الطبري لخبر من الأخبار كاف لتحميل هذا الإمام مسئولية الخبر الذي أورده، واعتباره هو المصدر لهذا الخبر، وأن الأخبار التي يوردها سواء كلها في ميزان الصحة عنده، وأن عزوهم الخبر إلى الطبري ودلالتهم على موضعه من تاريخه تتم بهما مهمتهم من الاستدلال، وتبرأ بذلك ذمتهم من عهدة هذا الخبر، ويبقى الطبري هو المتحمل لمسئولية ما يترتب على ذلك في الحكم على أحداث التاريخ وعلى أقدار رجاله وتصرفاتهم. إن ظنهم هذا لا يغني من الحق شيئاً، وإن الطبري ليس هو صاحب الأخبار التي يوردها بل لها أصحاب آخرون أبرأ هو ذمته بتسميتهم، وهؤلاء متفاوتون في الأقدار، وأخبارهم ليست سواء في قيمها العلمية، ولا يتم اعتبار الطبري مرجعاً في التاريخ إلا بإكمال المهمة التي بدأ بها، وهي تقدير أخباره بأقدار أصحابها،

(١٢) أحمد محمود الشوابكة: وأد الفتنة، ص١٤٣

(١٣) هو الداعية والأديب والمحقق محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر الخطيب، الذي كان الوحيد تقريبا بين مثقفي جيله في مصر فهما وإدراكا لعقائد الشيعة وتاريخهم ومؤامراتهم. توفي رحمه الله سنة ١٩٦٩م.

ففيها ما يعد من سلسلة الذهب، وفيها مالا تزيد قيمته على قيمة الخزف، ولكل ذلك نقاده وصيارفته وتجاره، وهم يعرفون أقدار هذه الأخبار عند التعريف بأقدار أهلها، وقديماً قيل: وما آفة الأخبار إلا رواتها"[١٤].

ويقول الدكتور شاكر مصطفى: "وأهم ما يؤخذ على الطبري في منهجه: ضمور النقد عنده. كان يقف خارج الأحداث وخارج الرواية نفسها في برود عقلي واضح، راميا منذ مطلع الكتاب عهدة كل أمر على رواته"[١٥].

لقد اعتمد الطبري في تغطيته لأحداث الفتنة الكبرى على رواة من الرافضة الكذابين، على رأسهم محمد بن السائب الكلبي، وابنه هشام، ولوط ين يحيى (أبو مخنف)، فروى هؤلاء روايات تطعن في الصحابة رضي الله عنهم، وقد روى الطبري عن أبي مخنف وحده قريبا من ستمائة رواية!

"ولا ريب أن اعتماد أبي مخنف كأحد الرواة أو المؤرخين المبكرين الموثوق بهم سوف يقود إلى نتائج وخيمة على نزاهة البحث العلمي، وسوف يمرر ذلك روايات شيعية صرفة ومكذوبة تدين مسالك الصحابة والتابعين في صدر الإسلام. وقد اعتمد الطبري في تاريخه على روايات أبي مخنف اعتمادا يكون كاملا في بعض المواقف التي كان الأولى به أن يعتمد فيها على رواة محايدين عدول"[١٦].

وقبل أن نفارق الطبري وتاريخه، ننبه إلى نقطة مهمة، وهي أن تاريخ الطبري يظل مصدرا مهما من مصادر التاريخ الإسلامي، بسبب احتوائه على الروايات الصحيحة والسليمة من حيث الإسناد والمتن، بجانب تلك الضعيفة والمكذوبة!

(١٤) محب الدين الخطيب: مقال قديم منشور على موقع (مداد).
(١٥) د. شاكر مصطفى: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، جـ١، ص٢٥٩
(١٦) د. حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها، ص٤٧

شيء من النقد: ابن كثير نموذجا

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير رحمه الله، المتوفي سنة ٧٧٤هـ. وكتابه (البداية والنهاية) من أفضل وأدق مصادر التاريخ الإسلامي.

يلخص لنا الدكتور حمدي شاهين منهج ابن كثير في تاريخه فيقول:

"ينبه ابن كثير إلى خطورة الإسرائيليات ويحذر منها في مقدمة كتابه.. وقد انتقد بعض الإسرائيليات في مواطن منه.. وبفضل هذا الحذر المنهجي كان كتاب (البداية والنهاية) من أقل كتب التاريخ العام التفاتا إلى الإسرائيليات"[١٧].

ويقول: "كان ابن كثير من علماء الحديث، وله في ذلك جهود ومؤلفات، وقد أكسبه ذلك دربة على نقد الروايات من حيث إسنادها ومتنها، والموازنة بينها، وانعكس ذلك على نقده روايات التاريخ.. إلا أنه في أحيان أخرى يورد روايات عن الضعفاء والكذابين، وروايات مرسلة عن مجهولين دون نقد"[١٨].

إليكم نماذج من روايات (البداية والنهاية)[١٩]..

أولا: رواية ابن ديزيل عن نصر بن مزاحم

"وقد اجتاز (أي علي رضي الله عنه) في طريقه براهب فكان من أمره ما ذكره الحسين بن ديزيل في كتابه فيما رواه عن يحيى بن عبد الله الكرابيسي عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، حدثني مسلم الأعور، عن حبة العرني قال: لما أتى علي الرقة نزل بمكان يقال له البلبخ على جانب الفرات، فنزل إليه راهب من صومعته فقال لعلي: إن عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم عليهما السلام أعرضه عليك؟ فقال علي: نعم! فقرأ الراهب الكتاب : (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر، وكتب فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي

(١٧) د. حمدي شاهين: منهج ابن كثير في التأريخ للسيرة النبوية، ص٥
(١٨) د. حمدي شاهين: منهج ابن كثير في التأريخ للسيرة النبوية، ص٣٦
(١٩) الطبعة المعتمدة هي الطبعة الرابعة لدار ابن كثير لعام ٢٠١٥م، حققه كل من الدكتور رياض عبدالحميد مراد ومحمد حسان عيد وأكرم عبداللطيف البوشي، وراجعه كل من الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط والدكتور بشار عواد معروف.

بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف، وفي كل صعود وهبوط، تذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير، وينصره الله على كل من ناوأه، فإذا توفاه الله اختلفت أمته، ثم اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء الله، ثم اختلفت، ثم يمر رجل من أمته (يقصد علي) بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق، ولا ينكس الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد أو قال التراب في يوم عصفت فيه الريح، الموت أهون عليه من شرب الماء، يخاف الله في السر، وينصح في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم، فمن أدرك ذلك النبي من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة.. ثم قال لعلي: فأنا أصاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك. فبكى علي ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسيا منسيا، والحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار. فمضى الراهب معه وأسلم، فكان مع علي حتى أصيب يوم صفين، فلما خرج الناس يطلبون قتلاهم قال علي: اطلبوا الراهب، فوجدوه قتيلا، فلما وجدوه صلّى عليه ودفنه واستغفر له"[٢٠].

هي الرواية العجيبة هي قرة عين للرافضة! ففيها أن الكتب السابقة بشّرت ليس بالرسول ﷺ فقط، بل بعلي بن أبي طالب أيضا، سواء بسواء!

لم يعلق ابن كثير على هذه الرواية الخرافية، ولم نجد أثرا لأي نقد أو تحقيق في هامش الصفحة من قبل (فريق التحقيق والمراجعة)!

ثانيا: روايات عن أبي مخنف لوط بن يحيى

ينقل ابن كثير نصوصا عن الطبري، من رواية لوط بن يحيى، ثم يعقّب:

"وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، وقد كان شيعيا، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة، ولكنه إخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره"[٢١]!

فابن كثير هنا، لا يمانع من النقل عن أبي مخنف باعتبار أن "عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره"، ولكن ينبهنا في نفس الوقت بضعف هذا الراوي وتشيعه!

(٢٠) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٧، ص٤٣٩
(٢١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٨، ص٢٨٣

ثالثا: موقفه من روايات مقتل الحسين رضي الله عنه يوم عاشوراء

قال ابن كثير: "وقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا وفحشا"[٢٢].

وهذه وقفة نقدية من ابن كثير، ويا ليته التزم بهذا النهج في عموم تاريخه.

رابعا: موقفه من النص على خلافة الصدّيق رضي الله عنه

قال ابن كثير: "والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوص إليه (أي الصدّيق رضي الله عنه) ولا إلى غيره بالخلافة، بل لوّح بذكر الصدّيق، وأشار إشارة مفهمة ظاهرة جدا إليه، كما قدمنا ذلك ولله الحمد".

هذه وقفة تحليلية من ابن كثير لقضية خلافية هي: هل نصّ الرسول ﷺ على أبي بكر بالخلافة أم لا! وهو يأخذ هنا بالرأي الوسط الذي مفاده "أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لم يوصِ بنص ظاهر صحيح، ولكن دلّ الأمة على أفضلية الصدّيق لخلافته".

ويبدو أن ابن كثير يتبنى رأي شيخه ابن تيمية رحمه الله..

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والتحقيق أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له"[٢٣].

خامسا: موقفه من سياسة علي رضي الله عنه

قال ابن كثير: "ولما ولي علي بن أبي طالب الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه ممن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولي عليها سهل بن حنيف، فعزله، فلم ينتظم له عزله (أي لم يقدر على ذلك)"[٢٤].

هذه مسألة حساسة، تجنب الكثير من المتقدمين والمتأخرين الخوض فيها، وهي أن قتلة عثمان رضي الله عنه أصبحوا قادة وولاة في خلافة علي! هذه القضية تمثل إشكالية

---

(٢٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٨، ص٢٨٢
(٢٣) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، جـ ١ ص٢٠٠
(٢٤) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٨ ص٧

كبيرة، وتقوي من مركز أهل الشام في عدم بيعتهم لعلي. وابن كثير هنا يلتزم الصدق والصراحة بكل شجاعة ويعلن: "ولما ولي علي بن أبي طالب الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه ممن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية..".

سادسا: نقده لروايات ذمّ يزيد بن معاوية

انتشرت روايات مكذوبة وخيالية في ذمّ يزيد بن معاوية رحمه الله والتنقيص منه. يعلق ابن كثير:

"وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية كلها موضوعة لا يصح شيء منها، وأجود ما ورد ما ذكرناه على ضعف أسانيده وانقطاع بعضه، والله أعلم[٢٥]".

هذه وقفة نقدية أخرى لابن كثير رحمه الله.

(٢٥) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٨ ص٣٢٧

التساهل في الاتهام: الذهبي نموذجا

الإمام المحدث المؤرخ مُحمَّد بن أحمد بن عُثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، رحمه الله.

للذهبي كتاب (سير أعلام النبلاء)، وهو من أفضل كتب التراجم وأشملها، وفيه فوائد جليلة، وأيضا مثالب غير يسيرة! فقد تساهل في اتهام بعض الأعلام والمشاهير بتهم لا تثبت في حقهم أبدا.

أولا: اتهامه للوالي الأموي قرة بن شريك القيسي رحمه الله

قرة بن شريك القيسي أو العبسي، عينه الخليفة الوليد بن عبد الملك رحمه الله والياً على مصر سنة (٩٠هـ)، وبقي والياً عليها حتى وفاته سنة (٩٦هـ).

تعرضت سيرته للتشويه في بعض كتب التاريخ، واتهم بأشياء لا يقبلها عقل ولا منطق.

يقول عنه الذهبي: "قرة بن شريك القيسي القنسريني نائب ديار مصر للوليد، ظالم جبار عات فاسق، مات بمصر بعد أن وليها سبعة أعوام. أنشأ جامع الفسطاط وكان إذا انصرف منه الصناع دخله ودعا بالخمور والمطربين ويقول: لنا الليل ولهم النهار! وكان جائرا عسوفا همت الخوارج باغتياله فعلم وقتلهم"[٢٦].

يروي الذهبي –وغيره من المؤرخين- هذه التهمة الشنيعة عن هذا الوالي، وهي إصراره على شرب الخمر في المسجد، وأي مسجد؟! مسجد يقوم هو بإنشائه!

في القرنين (١٩م – ٢٠م) تم في مصر اكتشاف وثائق تاريخية قديمة تعود إلى العصر الأموي، كتبت على أوراق البردي، وتتضمن الكثير من المعلومات المهمة التي تتعلق بسياسة قرة بن شريك وطريقته في إدارة شئون الولاية، وكيف أنه كان واحدا من أفضل وأعدل الولاة في تاريخ الإسلام.

---

(٢٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٤ ص٤١٠

يعلق المفكر العراقي الدكتور طه حامد الدليمي على هذا التفاوت بين الحقيقة وبين ما ذكره الإمام الذهبي وغيره من ظلم بيّن لهذا الوالي:

"إن بين الوالي ابن شريك وبين أقرب مؤلف كتاب من الكتب التي راجعتها تضمن الذم، أي ابن تغري بردي (٣٣٦) سنة. أما أبعدهم، أي السيوطي فبينه وبين ابن شريك (٨١٥) سنة. وهذا يعطينا فكرة لا بأس بها عن المدة التي احتاجتها تلك العبارات الهابطة لتكتب أو تتسلل إلى تلك الكتب"(٢٧).

وجاء القول الفصل مع الباحث الأردني جاسر أبو صفية، الذي ألف كتابا قيّما حول هذه البرديات، وذكر معلومات تفصيلية عن مهارة هذا الوالي الأموي وعدالته في إدارة شئون مصر السياسية والمالية. وقام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بطباعة هذا الكتاب سنة ٢٠٠٤م.

يقول الدكتور أبو صفية: "والعجب كل العجب من علمائنا القدامى محدّثين ومؤرخين، كالذهبي وابن عساكر وغيرهما، كيف يجدون الجرأة في إصدار حكم جائر على مسلم دون روية أو تحقيق، وهم الذين وضعوا قواعد الجرح والتعديل وأصول نقد الروايات بعيدا عن الهوى والتعصب.. وشاء الله أن تظهر حقيقة قرة بن شريك نقية جلية في الوثائق البردية التي اكتشفت في مصر أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين. وهي صورة مناقضة لصورته في الروايات التاريخية"(٢٨).

وهناك من المؤرخين من تجاهل هذه الاتهامات الباطلة، فلم يذكرها ضمن ترجمته لقرة بن شريك رحمه الله.

قال ابن الأثير رحمه الله: "وفي هذه السنة (٩٦هـ) مات قرة بن شريك العبسي أمير مصر في صفر وقيل مات سنة خمس وتسعين"(٢٩).

وقال ابن كثير نقلا عن ابن جرير الطبري: "قال ابن جرير: وفي هذه السنة توفي قرة بن شريك العبسي أمير مصر وحاكمها. قلت: هو قرة بن شريك أمير مصر من جهة الوليد، وهو الذي بنى جامع الفيوم"(٣٠).

(٢٧) د. طه حامد الدليمي: مقال (الوالي الأموي قرة بن شريك القيسي)، موقع (التيار السني في العراق)، يونيو ٢٠٢٠م.
(٢٨) د. جاسر خليل أبو صفية: برديات قرة بن شريك دراسة وتحقيق، ص١٣-١٤
(٢٩) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٥ ص٢٠
(٣٠) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٩ ص١٩٢

ثانيا: اتهامه للخليفة المتوكل العباسي:

قال الذهبي في ترجمته للخليفة العباسي المتوكل رحمه الله: "وفي سنة (٢٣٤) أظهر المتوكل السنّة، وزجر عن القول بخلق القرآن وكتب بذلك إلى الأمصار.. وفي سنة ست وثلاثين هدم المتوكل قبر الحسين رضي الله عنه.. وكان المتوكل فيه نصب وانحراف! فهدم هذا المكان وما حوله من الدور.. وغضب المتوكل على أحمد بن أبي دُؤاد (رأس المعتزلة)، وصادره، وسجن أصحابه.. وأطلق من تبقى في الاعتقال ممن امتنع من القول بخلق القرآن"[٣١].

يتهم الذهبي الخليفة المتوكل بالنصب، أي نصب العداء لعلي رضي الله عنه وبنيه. أيكون كذلك وهو ابن عم علي؟! وهل يكفي مجرد هدمه للقبر المزعوم للحسين رضي الله عنه ليكون من النواصب!

كان المتوكل رحمه الله من خيرة خلفاء بني العباس، وقد حارب البدعة ونصر السنّة لما أعاد الاعتبار لمذهب أهل السنة في مقابل مذهب المعتزلة المنحرف. كما لاحظ بوادر حركة منحرفة تتشكل من قِبل الرافضة والشعوبية، لما أخذ هؤلاء في البناء حول القبر المزعم للحسين، فحاربهم كما حارب المعتزلة، وأمر بهدم تلك المنشآت. وكان هذا كافيا بالنسبة للذهبي أن يتهمه (بالنصب والانحراف)!

قارن بين ترجمة الذهبي للمتوكل، وبين ترجمة ابن كثير له..

قال ابن كثير: "وكان من خيار الخلفاء، وأحسن صنيعا إلى أهل السنة، بخلاف أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعمه المأمون[٣٢]"[٣٣].

وأيضا: "وارتفعت السنة جدا في أيام المتوكل، وكان لا يولي أحدا إلا بعد مشورة الإمام أحمد بن حنبل"[٣٤].

هذه بعض من أخطاء الإمام الذهبي في كتابه، وهي أخطاء تضيع في بحر حسناته، رحمة الله عليه.

---

(٣١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٢ ص٣٠
(٣٢) لأنهم حاربوا أهل السنّة ونصروا المعتزلة.
(٣٣) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١ ص١٢٢
(٣٤) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١١ ص١٤٢

مؤرخون من غير الثقاة

أولا: المسعودي

أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مؤرخ وجغرافي، وكتابه (مروج الذهب) في التاريخ معروف مشهور. توفي سنة ٣٤٦هـ.

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله تعالى"(٣٥).

كما تعرض الحافظ ابن حجر رحمه الله لنقد المسعودي وكتبه فقال: "وكتبه طافحة بأنه كان شيعيا معتزليا"(٣٦).

ثانيا : اليعقوبي

أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبي، المتوفى سنة ٢٨٤هـ. وكتابه في التاريخ أيضا معروف مشهور.

يقول الدكتور السلمي: "عرض اليعقوبي تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية، فهو لا يعترف بالخلافة إلا لعلي بن أبي طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة، ويسمي عليّا بالوصي. وعندما أرّخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يُضْف عليهم لقب الخلافة"(٣٧).

ثالثا: أبو الفرج الأصفهاني

علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني، المتوفى سنة ٣٥٦هـ. له كتاب (الأغاني) المشهور.

"كتاب الأغاني للأصفهاني فيه من الطامات والخزعبلات، ما يوهّن التقوى في القلوب ويشجع على الهبوط والإسفاف والرذيلة، وقد طالت سهامه المسمومة الكثير من أهل الفضل والشرف والرفعة والحسب، فنسب إليهم ما لا يجوز نسبته إلا لأهل المجون والانحلال، حتى أهل بيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لم يسلموا من طعنه فيهم صراحة بروايات لا تستقيم سنداً ولا متناً، وفي رواتها مجهولون أو كذابون دجاجلة أو أسانيد منقطعة، تتقطع القلوب حسرة وغيرة على الدين وأهله عند سماعها"(٣٨).

---

(٣٥) ابن تيمية: منهاج السنّة، جـ٢ ص١٦٣

(٣٦) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، جـ٤ ص٢٢٥

(٣٧) د. محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص٤٧٢

(٣٨) موقع (إسلام ويب). وللمزيد انظر كتاب الأستاذ وليد الأعظمي رحمه الله (السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني).

الفصل الثاني

القواعد التي تتبع في قبول أو رد الروايات التاريخية

القواعد التي تتبع في قبول أو رد الروايات التاريخية [٣٩]

تكلمنا في الفصل الأول عن إشكالات التدوين القديم للتاريخ الإسلامي، ونستعرض في هذا الفصل بعض القواعد المهمة في التحقيق وقبول أو رد الروايات التاريخية. وما يقال هنا ينطبق أيضا على الفصل الثالث المتعلق بإشكالات القراءة المعاصرة للتاريخ.

القاعدة الأولى: اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر

لأنها أصدق من كل وثيقة تاريخية فيما ورد فيها من أخبار، كما أنها وصلتنا بأوثق منهج علمي، ولئن كانت المادة التاريخية في كتب السنة ليست بنفس المقدار الموجود في المصادر التاريخية، إلا أنها لها أهميتها لعدة اعتبارات منها: أن معظم مؤلفيها عاشوا في فترة مبكرة، وأغلبهم من رجالات القرن الثاني والثالث الهجري، مما يميز مصادرهم بأنها كانت متقدمة. ثم إن المحدثين يتحرون الدقة في النقل، الأمر الذي يجعل الباحث يطمئن إلى رواياتهم أكثر من روايات الإخباريين.

القاعدة الثانية: الفهم الصحيح للإيمان، ودوره في تفسير الأحداث

إن دارس التاريخ الإسلامي إن لم يكن مدركاً للدور الذي يلعبه الإيمان في حياة المسلمين، فإنه لا يستطيع أن يعطي تقييماً علمياً وواقعياً لأحداث التاريخ الإسلامي.

القاعدة الثالثة: أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين

إن منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتفسير حوادثه يعتمد في أصوله على التصور الإسلامي، ويجعل العقيدة الإسلامية ومقتضياتها هي الأساس في منطلقاته المنهجية، وفي تفسير حوادثه والحكم عليها. وإن معرفة أثر الإسلام في تربية أتباعه في صدر الإسلام وتزكية أرواحهم، والتوجه إلى الله وحده بالعبادة والمجاهدة، يجعل من البديهي التسليم بأن الدافع لهم في تصرفاتهم وسلوكهم لم يكن دافعاً دنيوياً بقدر ما كان وازعاً دينياً وأخلاقياً.

---

(٣٩) مقال قيّم نشر على موقع (صيد الفوائد)، للكاتب المعاصر أبو عبدالله الذهبي، ونذكر هنا مقتطفات من المقال.

القاعدة الرابعة: العوامل المؤثرة في حركة التاريخ

إن المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ منهج شامل لكل الدوافع والقيم التي تصنع التاريخ، غير واقف أمام حدود الواقع المادي المحدود الظاهر للعيان فقط، بل إنه يتيح فرصة لرؤية بعيدة يستطيع المؤرخ معها أن يقدم تقييماً حقيقياً وشاملاً أكثر التحاماً مع الواقع لأحداث التاريخ الإنساني، وهذا سر المفارقة بين المنهج الإسلامي وبقية المناهج الأخرى الوضعية التي تفسر التاريخ تفسيراً عرقياً أو جغرافياً أو اقتصادياً.

القاعدة الخامسة: العلم بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم والتثبت فيما يقال عنهم

قال ابن تيمية رحمه الله: "إن الحكم على أي طائفة أو قوم، يقوم على أصلين، أحدهما: المعرفة بحالهم، والثاني: معرفة حكم الله في أمثالهم". (مجموع الفتاوى جـ ٢٨ ص٥١٠). وهذان الأصلان يقومان على العلم المنافي للجهل، والعدل المنافي للظلم، إذ الكلام في الناس لا يجوز بغير علم وبصيرة.

القاعدة السادسة: الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل وإنصاف

الأصل في هذه القاعدة قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون}.

القاعدة السابعة: العبرة بكثرة الفضائل

فإن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث، وكذلك من غلبت فضائله هفواته اغتفر له ذلك، وفي هذا الصدد يقول الحافظ الذهبي رحمه الله: "وإنما العبرة بكثرة المحاسن". (سير أعلام النبلاء جـ ٢٠ ص٤٦).

القاعدة الثامنة: إحالة الحوادث على الخطأ في الاجتهاد

نحن لا نعصم فرداً أو مجتمعاً، إلا أن يكون نبياً أو رسولاً، ومن هنا يجب أن نعلم أن الذين صنعوا التاريخ رجال من البشر، يجوز عليهم الخطأ والسهو والنسيان، وإن كانوا من كبار الصحابة وأجلائهم، إلا أنه ينبغي إحالة الحوادث إلى الخطأ في الاجتهاد.

القاعدة التاسعة: الطريقة المثلى في معالجة القضايا والأخطاء

يلزم دارس التاريخ أن يدرس الظروف التي وقعت فيها أحداثه، والحالة الاجتماعية والاقتصادية التي اكتنفت تلك الأحداث، حتى يكون حكمه أقرب إلى الصواب.

القاعدة العاشرة: الاستعانة بعلم الجرح والتعديل للترجيح بين الروايات المتعارضة وبناء الصورة التاريخية الصحيحة

ينبغي الاستعانة بمنهج المحدثين في نقد أسانيد الروايات، فهو الوسيلة المثلى للترجيح بين الروايات المتعارضة، كما أنه خير معين على رفض بعض المتون المضطربة أو الشاذة عن الإطار العام لتاريخ صدر الإسلام.

القاعدة الحادية عشر: الرجوع إلى كتب السنة كمصدر مهم لأخبار صدر الإسلام

إن من المفيد جداً في كتابة التاريخ الإسلامي الرجوع إلى كتب السنة كمصدر موثوق وراجح لأخبار الصدر الأول، لوجود روايات تاريخية كثيرة فيها على درجة عالية من الصحة، ونظراً لأن كتب الحديث خُدمت أكثر من كتب التاريخ من قبل النقاد.

القاعدة الثانية عشر: معرفة حدود الأخذ من كتب أصحاب الأهواء والفرق

اعتنى أهل السنة بضبط مذهب الفرق وأقوالهم لتعرف أحوالهم ومواقفهم ويكون المسلم على بينة منها، فلا يخدع من قبلهم، ولأجل هذا لا بد للمؤرخ المسلم من التعرف على اتجاهات هؤلاء وعقائدهم، لأن ذلك يمكنه من التعامل مع النصوص التي أوردوها بما لديه من خلفية عن اتجاهاتهم وآرائهم ومواقفهم، ثم يقارنها بغيرها من الآراء التي عند المؤرخين أو العلماء العدول الثقات. وعلى ضوء المقابلة والمقارنة بين النصوص ينظر إلى تعصب الراوي من عدمه، فمن لاحت عليه أمارات التحزب أو التحيز لنحلة أو طائفة أو مذهب لا يؤخذ منه في هذه الحال، أما من لا يلحظ عليه التعصب –وإن كان من أهل البدع– وكان صدوقاً في نفسه معروفاً بالورع والتقوى والضبط تقبل روايته.

القاعدة الثالثة عشر: معرفة ضوابط الأخذ من كتب غير المسلمين

إذا كان للتاريخ الإسلامي قواعد وأصول وضوابط شرعية يجب على المؤرخ المسلم أن يلتزم بها، فذلك يعني الاحتياط عند الأخذ من كتب غير المسلمين، خصوصاً وأن الحرية بلا قيود وبلا ضوابط تلقاها العلمانيون في الغرب أو الشرق، وطبقوها على التاريخ الإسلامي بسبب الاختلاف في التصورات والمفاهيم والمبادئ، مما جعل نتائج أبحاثهم

ودراساتهم مناقضة للأحكام الإسلامية، وواقع المجتمع الإسلامي، لهذا فإن القضايا التي تطرحها كتب غير المسلمين من يهود ونصارى وغيرهم، والتي تعالج التاريخ الإسلامي – خصوصاً الصدر الإسلامي الأول– ينبغي أن تدرس بعناية وحذر شديدين، لأنهم لا يصدقون في كثير مما يقولونه عن الإسلام ونظمه ورجاله، ولا يحل وفق ذلك لمسلم أن يروي عنهم أو يأخذ منهم، لا سيما وأن من شروط البحث في هذه القضايا عرض الأقوال والأعمال على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ثم إذا كان علماء الإسلام لا يثبتون الأحكام بما يرويه المسلم الضعيف الضبط ، فكيف يحق لقوم مؤمنين أن يحملوا عن كافر ساقط العدالة! ويضمر من الحقد والبغضاء لهذا الدين مالا يعلمه إلى الله.

القاعدة الرابعة عشر: مراعاة ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة

ينبغي أن نعلم أن بعض تلك الأحداث الواقعة في صدر الإسلام لا يبررها غير ظروفها التي وقعت فيها، فلا نحكم عليها بالعقلية أو الظروف التي نعيش فيها نحن أو بأية ظروف يعيش فيها أصحاب تلك الأحداث، لأن الحكم حينئذ لن يستند إلى مبررات موضوعية، وبالتالي تكون نظرة الحاكم إلى هذه الوقائع غير مطابقة للواقع. ومن الملاحظ أن الخلط بين الواقع المأساوي الذي يعيشه المسلمون في هذا العصر، وبين واقع المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام يرجع إلى الخطأ في الفهم الناتج في الغالب عن الصورة القاتمة والمغرضة التي يتلقاها النشء عن تاريخ الإسلام وحضارته بواسطة المناهج المحرفة التي تعمم الأحكام وتشوه بذلك التاريخ.

القاعدة الخامسة عشر: استعمال المصطلحات الإسلامية

تعد قضية المصطلحات من أشد العناصر أثراً وأهمية وخطورة في ثقافة الشعوب، لأنه عن طريقها يتم تثبيت المفاهيم والأفكار، ولأن المصطلحات بهذا القدر من الأهمية فإنه منذ أن تقرر في أوكار الصهيونية والصليبية تدمير الخلافة الإسلامية، وأعداء الأمة الإسلامية يحرصون على تخريب الفكر الإسلامي وتشويه العقل المسلم من باب المصطلحات والمفاهيم. فقد كان من تأثير الغزو الثقافي الأوربي للمسلمين أن شاعت بينهم مصطلحات ومفاهيم غريبة عن عقيدتهم وثقافتهم حتى كادت أن تختفي المصطلحات الإسلامية. على أن هذا المنزلق يتمثل في عدم وعي الباحثين المعاصرين بأن المصطلحات الحديثة إنما تنبثق من رؤية خاصة للفكر الغربي.. فالمثقفون في العالم الإسلامي كانوا إلى مشارف الخمسينيات لا يدركون أن المصطلح جزء لا يتجزأ من التركيبة أو البنية الحضارية لأي

مجتمع، وكانوا في حالة الدفاع عن الذات، يحاولون أن يوجدوا لكل عنوان برّاق في المدنية الغربية مثيله في الإسلام. ولنذكر على سبيل المثال مصطلح: اليمين واليسار والاشتراكية والديمقراطية والرأسمالية.. الخ، ورغم أن هذه المصطلحات لعبة صهيونية، إلا أن بعض الباحثين مع الأسف وظفوها بصورة آلية، حتى أن بعضهم ألفوا كتباً يصنفون فيها الصحابة رضي الله عنهم إلى يمين ويسار واشتراكي ورأسمالي. فيجب الحذر من التقليد الأعمى، وفي ذلك يكمن خطر الذوبان في الفكر الجاهلي الغربي، والضياع وسط مصطلحاته الكثيرة التي تفقدنا ذاتيتنا المستقلة، و ينبغي استعمال المصطلحات الإسلامية؛ لأنها ذات دلالة واضحة ومحددة، ولأنها معايير شرعية لها قيمتها في وزن الأشخاص والأحداث.

الفصل الثالث

إشكالات القراءة المعاصرة

قراءة التاريخ بعيون المستشرقين

ترتبط حركة الاستشراق ارتباطا وثيقا بكل من الاستعمار والتنصير، فقد عمد المستشرقون على خدمة المستعمر الأوروبي من خلال العمل من داخل المجتمعات الإسلامية، وتحت مبررات علمية وأكاديمية، بهدف تشويه مبادئ وقيم وتاريخ الإسلام. وقد استطاع المستعمر أن يربي أجيالا من أبناء المسلمين، ممن تأثروا بآراء المستشرقين ومناهجهم في البحث العلمي، فظهرت لهم كتابات تطفح بالمادية والعلمانية في تحليلاتهم لأحداث التاريخ الإسلامي ولرموز الإسلام وأعلامه.

"وقد نجح الاستشراق في تكوين قاعدة علمية وثقافية له من أبناء المسلمين الذين يقومون بترويج آراء المستشرقين ونظرياتهم في بلادهم الإسلامية، وتتكون هذه القاعدة الاستشراقية العلمية من تلاميذ للمستشرقين تلقوا تعليمهم العالي في جامعات ومعاهد الغرب تحت إشراف المستشرقين"[٤٠].

هل لحركة الاستشراق من إيجابيات؟

الجواب: "على الرغم من وجود بعض الإيجابيات للفكر الاستشراقي فإن حجم الآثار السلبية وعمق هذه الآثار في المجتمع الإسلامي لا يمكن مقارنته بالفائدة التي تحققت من خلال الآثار الإيجابية"[٤١].

يقول المستشرق الشهير ماسينيون: "إن هؤلاء الطلاب المسلمين الذين يصلون إلى فرنسا، يجب أن يصاغوا صياغة غربية خالصة؛ حتى يكونوا أعوانًا لنا في بلادهم"[٤٢].

(٤٠) د. محمد خليفة حسن أحمد: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص٨٨
(٤١) د. محمد خليفة حسن أحمد: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص٩
(٤٢) أنور الجندي: من التبعية إلى الأصالة في مجال التعليم واللغة والقانون، ص١٦

طه حسين

ومن مشاهير المتأثرين بآراء المستشرقين الدكتور طه حسين، صاحب لقب (عميد الأدب العربي)[٤٣]!

ألف طه حسين كتابه المثير (في الشعر الجاهلي)، المليء بآراء سيده المستشرق مرجليوث، مما دعا الأديب والمفكر الكبير محمود محمد شاكر رحمه الله أن يطلق على الكتاب اسم (حاشية طه حسين على بحث مرجيلوث)[٤٤]!

وقد ملأ طه حسين إسلامياته، مثل كتاب (الشيخان)، وكتاب (الفتنة الكبرى)، بالروايات التاريخية الضعيفة والمكذوبة بدون تمحيص ولا تحقيق، ثم بنى على هذه الروايات تحليلات باطلة، تماما كما فعل سادته من المستشرقين.

علي عبدالرازق

صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم)، والذي اعتمد أيضا على آراء المستشرق اللئيم مرجليوث.

"وكان أول من كشف حقيقة الكتاب هو الشيخ محمد بخيت رحمه الله، الذي ردَّ على الشيخ علي عبدالرازق في كتابه (حقيقة الإسلام وأصول الحكم)، وهو واحد من الكتب التي صدرت في الرد عليه.. حيث قال: (لأنه علِمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له منه إلا وضع اسمه عليه فقط.. فهو منسوب إليه فقط، ليجعله واضعوه من غير المسلمين ضحية هذا العار، وألبسوه ثوب الخزي إلى يوم القيامة)"[٤٥].

أحمد أمين

صاحب سلسلة كتب (فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وفجر الإسلام)، وهي كتب لا تخلو من فوائد بطبيعة الحال، ولكن الفكر الاستشراقي واضح فيها.

يقول عنه الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله:

"ولما ثار نقاشٌ في الأزهر حول (الإمام الزهريّ) عام ١٣٦٠هـ، قال الأستاذ أحمد أمين للدكتور علي حسن عبدالقادر، وهو الذي أثيرت الضجة حوله: "إن الأزهر لا يَقْبل الآراء العلميةَ الحرة، فخير طريقة لِبثِّ ما تراه مناسبًا من أقوال المستشرقين، ألا تنسبها إليهم بصراحة، ولكن ادفعها إلى الأزهريين على أنها بحث منك، وأَلبِسها ثوبًا رقيقًا لا

(٤٣) بل عميل الفكر الغربي!
(٤٤) أنور الجندي: مؤلفات في الميزان، ص٣٧
(٤٥) للمزيد انظر: مقال (تلاميذ المستشرقين)، للباحث إسماعيل علي أحمد، موقع (شبكة الألوكة).

يُزعجهم مسها، كما فعلت أنا في (فجر الإسلام)، و(ضحى الإسلام)"! هذا ما سمعته من الدكتور علي حسن يومئذٍ نقلاً عن الأستاذ أحمد أمين"[٤٦].

إذن، لا يكتفي أحمد أمين بحشو كتبه بآراء المستشرقين، بل يعلم غيره كيفية فعل ذلك! وقد عمل بهذه (النصيحة الغالية!!) بعض الكتّاب المعاصرين من أمثال محمود أبو رية ومحمد عابد الجابري ومحمد أركون ومحمد شحرور وحسن حنفي وعبدالجواد ياسين وغيرهم.

وانظر ما قاله أحمد أمين نفسه عن مكانة المستشرقين عنده ومدى إعجابه بهم:

"نَمَتْ الجامعة واستُدْعِي لها بعض كبار المستشرقين واختير لها بناء هو بناء الجامعة الأمريكية اليوم. فأعجبني من دروسها محاضرات يلقيها الأستاذ نللينو في تاريخ الفلك عند العرب، ومحاضرات في الفلسفة الإسلامية يلقيها الأستاذ سانتلانا، ومحاضرات في الجغرافيا العربية يلقيها الأستاذ جويدي، وكنت أحضر هذه المحاضرات لماماً في غير انتظام ولا التزام، لثقل العبء علي بمدرسة القضاء. ولكن على كل حال رأيت لوناً من ألوان التعليم لم أعرفه: استقصاء في البحث، وعمق في الدروس، وصبر على الرجوع إلى المراجع المختلفة، ومقارنة بين ما يقوله العرب ويقوله الإفرنج، واستنتاج هادئ ورزين من كل ذلك"[٤٧]!

عبدالجواد ياسين

معروف بتلاعبه بالنصوص الحديثية والروايات التاريخية، وتقديم تحليلات مقتبسة عن المستشرقين، دون أن ينسب ذلك إليهم (إنها نصيحة أحمد أمين)! وهذه نماذج من تلاعبه:

يقول عن أبي هريرة رضي الله عنه: "ماكينة التنصيص الكبرى في الإسلام! أعني أبا هريرة.. كان تلميذا لكعب الأحبار"[٤٨].

كذب عبدالجواد! أبو هريرة رضي الله عنه راوية الإسلام، وليس ماكينة التنصيص، ولم يكن تلميذا لكعب الأحبار.

ويزعم عبدالجواد أن "كعب الأحبار يروي عند عبدالملك روايات في خدمة الأمويين[٤٩]".

(٤٦) د. مصطفى السباعي: السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٢٣٨
(٤٧) أحمد أمين: حياتي، ص٨٤
(٤٨) عبدالجواد ياسين: السلطة في الإسلام، العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، ص٢٦٥
(٤٩) عبدالجواد ياسين: السلطة في الإسلام، العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، ص٢٧٤

وهذه كذبة أخرى: توفي كعب الأحبار سنة ٣٢هـ، وعبدالملك بن مروان رحمه الله أصبح خليفة عام ٦٥هـ!

إنه يردد مزاعم المستشرق جولدزيهر، دون الإشارة إلى ذلك.

ويشكك في حديث (لا تشد الرحال..)، الذي أخرجه البخاري في صحيحه، وأبي داود والبزار وابن حبان وغيرهم، رحمهم الله، ويعتبر عبدالجواد أن هذه الحديث وضع لأغراض سياسية، في فترة الصراع بين عبدالملك رحمه الله، وابن الزبير رضي الله عنه[٥٠].

هذه الفرية ذكرها المستشرق جولدزيهر اليهودي في كتابه (دراسات محمدية)، ونقلها عنه محمود أبو رية الزنديق، وكالعادة: لا يشير عبدالجواد إلى شيء من ذلك.

وفي معرض تشكيكه في أبي هريرة ومروياته، يستشهد بالحديث التالي:

"عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ائتمن على وحيه ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية".

أين الأمانة العلمية يا عبدالجواد. هذا حديث موضوع، حكم ببطلانه الخطيب البغدادي وابن عساكر وابن الجوزي والسيوطي والشوكاني وغيرهم، رحمهم الله جميعا.

إن مشكلة عبدالجواد ياسين في قراءة التاريخ واضحة للعيان:

إنه ينقل عن زنادقة من أمثال محمود أبو رية، عن يهود من أمثال جولدزيهر، الذي التقط الخيط من عالم شيعي قديم هو أبو جعفر الإسكافي..

زنديق، عن يهودي، عن مجوسي! يا له من إسناد صحيح يا عبدالجواد!

(٥٠) عبدالجواد ياسين: السلطة في الإسلام، العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، ص ٢٧١

قراءة التاريخ بعيون ثورية

تمهيد

من إشكالات القراءة المعاصرة للتاريخ: (إسقاط الواقع الحاضر على الحدث القديم)، بعبارة أخرى: (إسقاط ظروف البيئة المعاشة على أحداث التاريخ)، وهذا مما يؤدي إلى الوصول إلى تحليل للحدث لا يتوافق مع حقيقة ماحدث.

يقول الشيخ العلاّمة يوسف القرضاوي رحمه الله عن الأجواء التي كتب فيها رسالته (عالم وطاغية):

"وفي معتقل (هاكستيب) في الصحراء[٥١]، كنت أقرأ في كتب الأدب والتاريخ، فكان مما راقني وأثر في نفسي موقف سعيد بن جبير العالم الفقيه الشجاع، من الطاغية المتجبر الحجاج بن يوسف.. واليوم[٥٢]، يعيد التاريخ نفسه، وتتكرر المأساة، ويتجدد الطغيان والاضطهاد لحَمَلة الدعوة الإسلامية، ولكن بصورة أعنف وأقسى، وأشد ضراوة ووحشية، وتبرز مواقف كمواقف سعيد في مواجهة طغيان أخبث وأعتى وأشد كفرا من طغيان الحجاج.. ولهذا لم يكد القائد الداهية الشجاع عبدالرحمن بن الأشعث القيسي يعلن ثورته...".

تعليقنا على كلام الشيخ: لم يكن الحجاج رحمه الله بهذا السوء، وى ينبغي قول "وأشد كفرا" في حقه. وأما سعيد بن جبير رحمه الله فقد ارتكب ارتكب خطئا كبيرا في مشاركته في ثورة عبدالرحمن بن الأشعث، ذلك المغامر الأرعن الذي تسبب في هلاك آلاف المسلمين، وليس هنا مجال التفصيل لهذا الحدث الخطير. وأما ذلك الحوار العجيب الذي دار بين سعيد والحجاج فليس إلا أوهام وخيالات رويت كلها بأسانيد ضعيفة. ويعلق الإمام الذهبي على هذه القصة بعد ذكرها بقوله: "هذه حكاية منكرة، غير صحيحة"[٥٣].

هذا ما يحدث عندما ننظر إلى أحداث التاريخ من خلال الظروف المعاشة.

---

(٥١) ذلك في أواخر الأربعينات.
(٥٢) ذلك يوم كتب هذه الرسالة، أي في سنة ١٩٦٨م.
(٥٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٣ ص١٦٤

نموذج للدراسة: الدكتور محمد عمارة

المفكر الإسلامي الكبير، وصاحب العديد من المؤلفات في الفكر والتاريخ والحضارة الإسلامية، توفي رحمه الله عام ٢٠٢٠م.

للدكتور عمارة نزعة ثورية واضحة في بعض مؤلفاته، مع ميول قومية، وهذه النزعة تظهر بصورة أوضح في الكتب التي ألفها في الفترة من الستينات إلى الثمانينات. كما أن للدكتور عمارة ميول واضحة للمعتزلة. كل هذه الميول أثرت في كتاباته التاريخية بصورة سلبية، وتبنى أمورا لا تتوافق إطلاقا مع كونه مفكرا إسلاميا كبيرا.

يقول الباحث المصري الدكتور أحمد قوشتي:

"البعض حاول أن يسقط المصطلحات والتقسيمات السياسية الحديثة على هذه الفرق والمذاهب، ولم يعد من العسير أن نجد تقسيم الفرق إلى يمين ويسار ووسط، وأن يوصف إحداها بالديمقراطية، والأخرى بالثيوقراطية، والثالثة بأنها رائدة الثورية والتقدمية ونبذ الرجعية والديكتاتورية، وأن يُعلى من شأن بعض الحركات الباطنية المنحرفة مثل القرامطة بحيث تُصور كما لو كانت حركة ثورية فريدة في التاريخ الإسلامي"(٥٤).

ويقول المفكر العراقي الدكتور طه حامد الدليمي:

"لم أجد كالتاريخ موضوعاً تشيع فيه الأهواء وتشتجر الآراء، وتمتلئ ساحته بالفجوات، وتحشى فراغاته بالادعاءات، حتى لو قلت: إن (التاريخ أكذب العلوم) لما رأيتني عدوت الحقيقة! على أن هذا لا يلزم منه الإعراض عن التاريخ وتركه لغيرنا يعيثون فيه كما يشاءون ويهوَون، ولا يعني خلوه من الفوائد، بل هو مليء بها لكن جواهره تحتاج إلى ناقد بصير يجتهد ما أمكنه ليبتعد عن الانحياز، ينفض عنها الغبار ويعرضها للناظر من جديد. الانحيازية أحد مشاكل التاريخ وهي أن يتخذ الكاتب فيه فكرة مسبقة ينحاز إليها بلا مستند أو تحقيق علمي، ويبني عليها ما يكتبه من أحداث، ويفسرها تبعاً لها. أما الانحياز المبني على أساس صحيح فلا اعتراض عليه"(٥٥).

---

(٥٤) د. أحمد قوشتي عبدالرحيم: أثر الخصائص الشخصية على ظهورالاتجاهات الفكرية، ص٣١

(٥٥) د. طه حامد الدليمي: مقال في موقع (القادسية)، مارس ٢٠١٥م.

ولنبدأ جولتنا مع الدكتور عمارة رحمه الله:

• في كتابه (الإسلام والثورة، طبعة ١٩٨٨م)، يتكلم عمارة عن الفتنة ضد الخليفة الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه بصورة غريبة جدا. يقول:
"كانت هناك (هيئة المهاجرين والأنصار) التي كانت بمثابة حكومة دولة المدينة.. فشارك أعضاء (هيئة المهاجرين الأولين) في التحريض على الثورة (أي على عثمان!!)، بل لقد نهضت هذه الهيئة بالمهمة التي كانت العامل الحاسم في إنهاء عهد عثمان، عندما أصدرت بيانا دعت فيه ثوار الأمصار والأقاليم إلى الزحف على العاصمة لاحتلالها، وتغيير ما طرأ فيها وعليها، وإعادة سلطاتها الدستورية والشرعية إليها. ولقد أورد ابن قتيبة نص هذا البيان الذي يقول فيه (المهاجرون الأولون) لأهل مصر: (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.. من المهاجرين الأولين وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين، أما بعد، أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها، فإن كتاب الله قد بدّل، وسنة رسوله قد غيرت، وأحكام الخليفتين قد بدلت. فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول والتابعين بإحسان إلا أقبل إلينا وأخذ الحق لنا وأعطاناه، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وأقيموا الحق على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه الخلفاء. غُلبنا عل حقنا، واستُولِيَ على فيئنا، وحيل بيننا وبين أمرنا، وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة، وهي اليوم ملكا عضودا"[٥٦]!!

أهذا معقول؟! يصف الفتنة بالثورة، وأن كتاب الله قد بدّل على يد عثمان، وأن الصحابة كانوا تحت الاحتلال فأرسلوا بيانا إلى مصر لطلب النصرة ضد عثمان ونظامه المستبد الفاسد!!

وهو يستشهد هنا بنص تاريخي ورد في كتاب (الإمامة والسياسة)، وهو كتاب مزيف، منسوب إلى الإمام ابن قتيبة رحمه الله، وهذا أمر معروف عند أهل العلم.

إنه الهوى الثوري العنيف عند الدكتور عمارة.

---

(٥٦) د. محمد عمارة: الإسلام والثورة، ص١٧٣-١٧٤

• وفي كتابه (مسلمون ثوار، طبعة ١٩٨٨م)، يُظهرالصحابة رضي الله عنهم بصورة سلبية جدا. يقول:

"وجاهد كثير من الصحابة لاقتناء الثروة وبناء الدور المريحة، وجني ثمار العمل الذي بذلوه في المعارك سنين عديدة قضوها في تأسيس الدولة وتوحيدها ونشر الإسلام"[٥٧]!

إذن، جاهد الصحابة سنين عديدة في مقابل أن يصبحوا بعد ذلك من (المليونيرات)! اللهم غفرانك.

• ويقول عن المعتزلة: "تلك الأوساط التي نجحت في عهد المتوكل في شن حملة إرهابية ضد المعتزلة وتراثهم العقلي، وهي الحملة التي أودت بالأغلبية الساحقة من كنوز هذا التراث"[٥٨].

الدكتور عمارة يسمي العملية الإصلاحية العظيمة التي قام بها المتوكل رحمه الله بالحملة الإرهابية، بينما يتجاهل الإرهاب الحقيقي الذي مارسه المعتزلة في ظل حكم الخلفاء الثلاثة المنحرفين: المأمون والمعتصم والواثق، والذي شمل الإرهاب الفكري مع التصفيات الجسدية. كل ذلك لأن الدكتور عمارة مغرم بالنزعة العقلية المنحرفة لدى المعتزلة.

• ويستمر عمارة في كتابه (مسلمون ثوار) في عملية تشويه تاريخ الإسلام وسيرعظمائه، بالاستعانة بروايات كثيرة ساقطة، يلتقطها من (مروج الذهب) للمسعوي، و(نهج البلاغة)، و(شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد.

• ويصر عمارة على استخدام المصطلحات الثورية وإلصاقها بتاريخ الإسلام ورموزه. فيقول عن غزوة بدر الكبرى: "معركة كانت بين الرسول ﷺ وأصحابه، وبين الأرستقراطية المكية وحلفائها"[٥٩].

• ويصف البطل صلاح الدين الأيوبي رحمه الله بـ"القائد الإقطاعي البارز"[٦٠]!

---

(٥٧) د. محمد عمارة: مسلمون ثوار، ص٧٨
(٥٨) د. محمد عمارة: مسلمون ثوار، ص٢٦٤
(٥٩) د. محمد عمارة: فجر اليقظة القومية، ص١٠٣
(٦٠) د. محمد عمارة: فجر اليقظة القومية، ص٢٢٨

• ويقول عن الفتوحات الإسلامية: "إن العرب في العراق والشام كانوا قد رحبوا بالفتح العربي الإسلامي مما يدل على الموقف الحضاري القومي في هذا التعاطف.. وعرب العراق سواء أكانوا مجوسا أم نصارى أم وثنيين، رحبوا بالفتح العربي الإسلامي، وقاتل كثير منهم في صفوف الجيش الفاتح لأنهم حضاريا كانوا عربا، مثلهم في ذلك مثل الفاتحين، رغم التمايز في الدين"(٦١).

هكذا؟! المجوس والنصار والوثنيون شاركوا في الفتوحات الإسلامية لأنهم كانوا عربا!!

• وأما (ثورة الزنج) التي أكلت الأخضر واليابس وارتكبت كل أنواع المنكرات، فيقول عنها: "وكان لهذه الثورة أفكار اجتماعية متقدمة وبطولات ثورية في ثورتهم هذه ضد النظام السياسي والاجتماعي الذي ساد بغداد"(٦٢).

إلى أي حد بلغ الدكتور في ثوريته!

يقول الشاعر ابن الرومي عن هذه الفتنة العمياء الصماء، واصفا مدينة البصرة عندما اقتحمتها هذه الثورة الخبيثة:

ذاد عن مقلتي لذيذ المنام ... شغلها عنه بالدموع السجام

أي نوم من بعدما انتهك الزنج ... جهارا محارم الإسلام

أقدم الخائن اللعين عليها ... وعلى الله أيما إقدام

لهف نفسي عليك أيتها البصرة ... لهفا كمثل لهف الضرام

كانت هذه أمثلة عن النزعة الثورية، ماذا تفعل بصاحبها إذا كتب أو تكلم في التاريخ.

رحم الله محمد عمارة، وغفر له.

---

(٦١) د. محمد عمارة: التراث في ضوء العقل، ص١٦٤

(٦٢) د. محمد عمارة: الإسلام والثورة، ص١٨، ثم ص٢٦٠

التمادي في تجاهل تحقيق الروايات

نقصد بالتحقيق هنا: التحقق من صحة الرواية سندا ومتنا. فقد شاع بين الكثير من المعاصرين نقل الروايات التاريخية الضعيفة والمكذوبة في كتاباتهم، دون النظر إلى حكم هذه الروايات من حيث الصحة والضعف.

الأستاذ أبو الأعلى المودودي

الداعية والمفكر الإسلامي الكبير، ومؤسس الحركة الإسلامية المعاصرة في شبه القارة الهندية. توفي عام ١٩٧٩م، رحمة الله عليه.

ينقل المودودي خبر التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فيقول:

"سأل عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري: كيف ترى الأصوب في هذا الأمر؟ قال: أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا. قال عمرو: والرأي ما رأيت. ثم خرجا على جمع من الناس يضم أربعمائة من طرف علي وأربعمائة من طرف معاوية وبعضا من الصحابة المحايدين، فقال عمرو لأبي موسى: يا أبا موسى أعلمهم أن رأينا قد اتفق. فقال عبدالله بن عباس لأبي موسى: ويحك والله أني لأظنك قد خُدعت، إن كنتما اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم به قبلك ثم تكلم به بعده فإنه رجل غادر ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا بينكما، فإذا قمت في الناس خالفك. قال أبو موسى: إنا قد اتفقنا. ثم وقف ليخطب في الناس معلنا: إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه وهو أن نخلع عليا ومعاوية ويولي الناس أمرهم من أحبوا وإني قد خلعت عليا ومعاوية، فاستبقوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه أهلا. فوقف عمرو بن العاص بعد ذلك وقال: إن هذا قد قال ما سمعتموه، وأنا أخلع صاحبه (يعني عليا) كما خلعه وأثبت صاحبي (معاوية) فإنه وليّ ابن عفان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه. فلما سمع أبو موسى هذا قال: مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت.."[٦٣]!

يذكر المودودي في هامش الصفحة بعض المصادر التي أخذ منها هذه الرواية التافهة، ومنها الطبري وابن الأثير وابن سعد وغيرهم.

(٦٣) أبو الأعلى المودودي: الخلافة والملك، ص٨٩

نعم، هذه الرواية مشهورة تاريخيا، وما كل مشهور صحيح، وقد اتفق علماء التحقيق على أن هذه الرواية ضعيفة، بل مكذوبة.

وكان الأولى بمن هو في مقام الأستاذ المودودي رحمه الله أن يتحقق من هذه الرواية قبل أن ينشرها على العالمين.

أيكون عمرو بن العاص رضي الله عنه بهذه الدرجة من الغدر والخيانة، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنه بهذه الدرجة من السذاجة والغباء! وكلاهما من كبار قادة الفتوحات الإسلامية، ومن أفضل الولاة في تاريخ الإسلام؟! حاشاهما، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الدكتور طه عبدالرحمن

المفكر المغربي الدكتور طه عبدالرحمن من كبار المشتغلين اليوم بالفكر الإسلامي وبالفلسفة، وهو من القلائل الذين لم تنجرف بهم الفلسفة إلى انحرافات عقدية، جزاه الله خيرا.

والدكتور طه يعاني من نفس المشكلة: عدم التحقق من الروايات التاريخية.

يقول الدكتور ضمن مدحه لعلي رضي الله عنه، وبعد أن طعن في عثمان رضي الله عنه: "لم ينزل في أحد من آي القرآن ما نزل في علي، أحصاها عبدالله بن عباس في ثلاثمائة آية"[٦٤]!

ويحيل في الهامش إلى كتاب (تاريخ الخلفاء) للسيوطي رحمه الله، وهو كتاب مشحون بالأعاجيب والأكاذيب.

ثلاثمائة آية نزلت في علي؟!

ونقول للفيلسوف الكبير: ائتِنا بهذه الثلاثمائة آية، بل ائتِنا بعُشرها إن كنت من الصادقين.

(٦٤) د. طه عبدالرحمن: ثغور المرابطة، ص١٤٣

وللتشيع السياسي
دور في القراءة الخاطئة للأحداث

قد لا تكون لهذه الفقرة صلة مباشرة بموضوع البحث، ولكن ندرجها هنا للفائدة..

نقصد بالتشيع السياسي: الانبهار بالنزعة الثورية المزعومة في الديانة الشيعية بصفة عامة، والانبهار الشديد بالثورة الخمينية بصفة خاصة.

الشيخ عبدالسلام ياسين

الشيخ عبدالسلام ياسين هو أحد رواد العمل الإسلامي المعاصر في المغرب، ومؤسس جماعة (العدل والإحسان) المغربية، وفيه نزعة صوفية واضحة. توفي عام ٢٠١٢م، رحمه الله.

وهؤلاء المنبهرين على شاكلتين: فريق وقف عند تشيعه السياسي هذا ولم يتشيع عقائديا. وفريق آخر كان هذا التشيع السياسي بالنسبة له قنطرة إلى التشيع العقائدي والعياذ بالله. والشيخ ياسين رحمه الله من الفريق الأول.

يقول: "ولا يزال تاريخ الإسلام حافلا بالقائمين من آل البيت، يهلل علماء الأمة ويكبرون لظهورهم، آخرهم حتى الآن الإمام الخميني! ونرجو أن يتيح الله للأمة قيادات من أمثالهم حتى ظهور الإمام المهدي رضي الله عنه، وهو منهم. ومع القائمين كان يقاتل العلماء، وعلى رأسهم الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله. وما محنة الإمام أحمد بالتي تنسى ولا بالتي تقف معانيها عند الدفاع عن العقيدة دون إدانة الجور العام الذي يبيح للحاكم أن يفرض عقيدة محرفة كعقيدة خلق القرآن. الإمام الحسين بن علي عليهما السلام كان أول القائمين، ثم زيد، ومحمد النفس الزكية، وإبراهيم، وما لا يكاد يحصى من أئمة آل البيت. في إيران يسمي إخوتنا الشيعة أنصار آل البيت عليهم السلام قومتهم ثورة، لسان العصر وهيبة الكلمة، وما غضبة الإمام الخميني ورجال الدعوة إلا امتداد للنبضات التاريخية المتجددة مع كل قائم بالحق"[٦٥].

كمّ هائل من الأغاليط في فقرة واحدة!

خيال جامح للشيخ ياسين، وخلط للحابل بالنابل، غفر الله له.

---

(٦٥) عبدالسلام ياسين: المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص٣٦٩

الفصل الرابع

هكذا نقرأ التاريخ

ونختم هذا البحث بمجموعة من التنبيهات والنصائح والقواعد،

لمن يروم قراءة التاريخ بصدق وإخلاص..

١) نروي التاريخ كما وقع، وليس كما نشتهي، ونقرأ التاريخ كما وقع، وليس كما نحب أن يكون قد وقع.

٢) "كم من مؤرخين حاكموا التاريخ ودوَّنوه تدوينًا عاطفيًا وجدانيًا، فلم يحاكموا أدلة الأحداث، بل أوَّلوها لتستقيم مع أفكارهم، ومنهم من بالغوا في التشويه أو التمجيد على السواء، غَيرة وحَمية، ولكنها حَمية مذمومة وغَيرة باطلة، فالحَمية للحق لا سواه، مهما ادّعَوا وقالوا"[٦٦].

٣) عندما نتوغل في أعماق التاريخ، فنسبر أغوار الماضي، لنأخذ منه الدروس والعبر للحاضر، فنحسن التخطيط للمستقبل، عندئذ.. يكون العناق بين الفكر والتاريخ، ويكون للتاريخ فقه وفهم، وحينها يكون الفكر التاريخي حاضرا في أذهاننا، واضحا في أفهامنا. فالتاريخ كما قالوا: شعاع من الماضي ينير لنا الحاضر والمستقبل.

٤) تم تدوين التاريخ على يد مؤرخين من صنوف شتى، فمنهم الثقاة التقاة، ومهم أصحاب الأهواء. ونحن نتوجه بالنقد للمنهج لا للأشخاص، ولا عصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٥) وقد مر تاريخنا الإسلامي بفترات مد وجزر، فالتاريخ من صنع رجال يصيبون ويخطئون، والفكر التاريخي يدعوا إلى التعامل الحكيم مع هذه الظاهرة.

٦) بخصوص التدوين القديم لتاريخنا: من الواضح أن منهج التحشيد والتجميع للروايات كان هو الغالب، مع غياب خطير للحس النقدي.

٧) وبخصوص القراءة المعاصرة لتاريخنا: من الواضح أن منهج الأخذ من المصادر القديمة دون تمحيص ونقد هو الغالب على كثير ممن تصدى للكتابة التاريخية. فيجب عدم تلقي الكلام على عواهنه.

---

(٦٦) أحمد الياسين: مقال (أخطاء في قراءة التاريخ الإسلامي)، موقع (ساسة بوست).

٨) وننبه إلى ظاهرة خطيرة: الكثير مما كُتب ورُوي في مصادرنا التاريخية إنما كتب بأيدٍ سنّية، ولكن بعاطفة شيعية، وبعض المؤرخين من أهل السنّة إنما كان اعتمادهم على رواة ممن عُرفوا بغلوهم في التشيع(٦٧).

٩) "هناك ضرورة لقراءة الروايات التاريخية بعين محايدة، وذلك للوصول إلى ما هو أقرب إلى الحقيقة، وليست القراءة الانتقائية للحصول على أدلة تسند المواقف المسبقة من الشخصية التاريخية المحددة في الحادثة، وينبغي على الباحث أن ينتبه أيضا إلى أساليب المبالغة والتعميمات التي يرددها كثير من مؤلفي كتب التاريخ"(٦٨).

١٠) وأخيرا: "قراءة التاريخ من أصعب أنواع القراءات، فالمعلومات التاريخية تختلف عن العديد من أنواع المعلومات الأخرى، فالتاريخ محدث ومستمر ومتجدد إلى أن تنتهي البشرية، وما فعلوه بالأمس، وما وصلوا إليه اليوم، فمن ليس له تاريخ ليس له مستقبل، لأن التاريخ يحمل في طياته نوعًا من جرس الإنذار المبكر لمن يعرفون كيف ينصتون إليه أو يحسنون قراءته، وهذا لن يتأتى لنا إلا من خلال التفكير النقذي الذي هو أساس ومدخل دراسة العلوم التاريخية المختلفة، لأن منظومات التفكير النقذية تمكننا من الوقوف على مسافة واحدة ورؤية الموضوع من جميع الأوجه والجوانب من خلال ما دُون وما أُرخ وما كُتب في الوثائق والكتب والموسوعات التاريخية، لأن عملية تزييف الوعي والحقيقة التاريخية يحدث عندما لا نرجع إلى مصادر ثنائية ومتنوعة والاكتفاء فقط بحقبة واحدة ومن منظور واحد.، يقول أحد المؤرخين: (إذا أردت أن تقرأ التاريخ لابد أن تقرأ عن المؤلف، وإذا قرأت عن المؤلف، لابد أن تبحث عن خلفياته الفكرية والسياسية والاجتماعية)"(٦٩).

والحمد لله رب العالمين.

(٦٧) انظر: عمر خليفة راشد: الغزو الشيعي للثقافة السنية، نماذج من الماضي والحاضر.
(٦٨) د. سعيد إسماعيل صيني: منهج الأبحاث التاريخية في خطوات تطبيقية، ص٦٨
(٦٩) عبدالحي كريط: مقال (ضريبة عدم فهمنا للتاريخ)، موقع (ساسة بوست).